المتلازمات اللغوية في لهجات مدينة ذي قار

دراسة لسانية

أ.م.د حكيم موحان عواد

جامعة ذي قار/ كلية العلوم الاسلامية

الهاتف:07818887088

الإيميل:hakemmohan7@gmail.com

توطئة:

لِكلّ لغـةٍ مـن اللّغـاتِ سِـماتٌ لغويـةٌ تلجـأُ إليهـا لِدَيْمُومَـةِ زَخْـمِ التَّعْبِيـرِ عَـنِ الـذَّاتِ وَعَـنِ الأشْـيَاءِ، وإنْ كَانَـتْ مُخْتَلِفَـةً بَـيْنَ لُغَـةٍ وَأخْـرَى، لَكنَّهـا تَشْـتَرِكُ بِسِـمَةٍ أَسَاسِـيَّةٍ ألا وَهِـيَ : التَّسَلْسُـلِ فِي الكَـلامِ، وإطْلَاقِـهِ دُونَ تَوقّـفٍ. وَتُمَثّـلُ هـذهِ السّـماتُ المُسـمّاة ب (**المُتلازِمَـاتِ**) ، مَحطّـاتِ شـحنٍ لِطاقَـةِ الكَـلامِ ، يَشْـترِكُ فِيهـا القَصْـدُ، والبُعْـدُ المَعْرِفِي (الـذّهْنِي)، فَضْـلاً عَـنِ المَقَـامِ الموجّـهِ لـدَلالاتِها. بِمعنى إنّ إنتاجَهـا لا يَقتَصِـرُ على مَـورِدٍ مَعْرِفِيّ واحـدٍ فحسبْ، بَلِ الجَميعُ مدعوٌ للمُشارَكَةِ دُونَ أنْ يَتمَاهى عُنْصِرٌ في عُنْصِرٍ آخر.

فالاسـتدعاءُ الّـذي يُمارسُـهُ المُـتكلمُ أو الخطيـبُ مرهـونٌ بقـوّةِ الخـزينِ المعرفيّ لهـذهِ المتلازمـاتِ، والّتي في الغالـبِ لا تكـونُ مفـردةً معجميـةً، وتمتلـكُ بعـداً وظيفيـاً ربّمـا يقتصـرُ على وَاحِـدٍ فقـط، وَعليـهِ تبْـرِزُ في بَحْـثِ المُتلازِمَـاتُ استحضـارُ علـومٍ عـدّةٍ، وَمعـارِفُ جَمّـةٍ، فعِلْـمُ الـنّفسِ المعرفِيّ، والتَداوليّـةُ، وَتحليـلُ الخِطـابِ، واللّسـانيّاتُ البَيْنّيّـةِ كُلّهـا تمتلِـكُ أحْيَـازاً ذا فَاعِليـةٍ عاليـةٍ فِي تَحْدِيْـدِ نَمـطِ وصـورةِ المُتلازِمَـةِ، سـواءٍ على مسـتوى التّشْـكِيلِ الصّـوتِي أمْ النّحْوِيّ أمْ الدّلالِيّ.

الكلمات المفتاحية: (الحزم المعجمية- المتلازمات- اللهجات- الفضاء الذهني)

Each language has linguistic features that it resorts to to maintain the momentum of self-expression and things, even if they differ from one language to another, but they share a basic feature. Which is: the sequence in speech, and its utterance without stopping. These features, called (syndromes), represent charging stations for the energy of speech, in which the intention and the cognitive (mental) dimension are shared, as well as the position guiding its connotations. Meaning that its

production is not limited to just one cognitive resource, but rather everyone is invited to participate without one element identifying with another.

The invocation practiced by the speaker or preacher depends on the strength of the cognitive store of these syndromes, which are often not lexically singular, and possess a functional dimension that may be limited to one only. Accordingly, in the study of syndromes, the invocation of several sciences and a great deal of knowledge emerges. Cognitive psychology, pragmatics, and discourse analysis All interlinguistics possess highly effective areas in determining the pattern and form of the syndrome, .whether at the level of phonological, grammatical, or semantic formation

أوّلا: المُتَلازمةُ اللُّغويّة بحثٌ في الماهيّةِ والوَظِيْفَةِ

تمنحُ اللُّغاتُ لِنَفْسِهَا إمْكَانِيّةَ الانسجامِ فِيما بَيْنَ مُرَكّبَاتِها، وهوَ انسجامٌ كيميائيٌّ يخضعُ لطبيعةِ الوظائفِ الّتي تنطلقُ مِنْها هذهِ اللُّغاتُ، ، إذْ ترتسمُ حدودُ التّوافِقِ فيما توفّرهُ طبيعةُ البِنْيَةِ والصّوتِ ؛ لِتخْرُجَ هذهِ اللُّغاتُ طيّعةً بينَ مستعمِليها، جميلةً في التّعْبِيرِ عنْ مكنوناتِ الفَهْمِ لديهِمْ.

إذاً فالتّلازمُ يتقّوى إظهارُه وإشهارُ تعابيرِهِ من خلالِ عمليةِ النّتحِ الدّلاليّ الّذي تمنحهُ اللُّغاتُ- أيَّ لُغَةٍ- فالدّلالةُ المتحصّلةُ مِنْ فهمِ هذهِ التّعابِيرِ والمُصْطَلحاتِ قوامُها التّرابِطُ، وانسجامُ التّضامِ والتلازمِ غَيرِ المُخلّ بالفَهْمِ.

وفي ضوءِ ما تقدّمَ: تعدّدت تعريفاتُ المُتَلازمةُ اللُّغويّةُ أو اللّفظيّةُ تبعاً لاختلافِ وُجْهَاتِ النّظرِ، وهذا التغايُرُ في الاختلافِ بفعلِ تغايُرِ بِنيةِ المتلازمةِ وتنوّعِ صُنوفِها.

ويمكنُنَا إجمالاً بيانَ بعضِ الموارِدِ والّتي تتماشى معَ طبيعةِ العَلاقةِ والفَهْمِ والانْسِجَامِ:

عُرّفت المتلازماتُ تلكَ بسلسلةٍ منَ التّعريفات مِنْهَا:

إنَّها تكرارٌ لمجموعةٍ من الكلماتِ المُعجميّةِ المُفردةِ، تشكّلُ وحدةً مميزةً... أوْ هِي مجموعةٌ من القُيودِ تُفرضُ على كيفيّةِ استعمالِ الكَلِماتِ جَنْبَاً إلى جَنْبٍ، أوْ هِي اجتماعُ كلِمَتينِ أوْ أكثر تؤدّيَانِ معنًى مختلفاً عنِ المعنى الّذي تؤدّيهِ أيٌّ منهما على حِدَةٍ. [1]

فِي الجِهـةِ الثّانيـةِ مـنَ الغَـرْبِ نَلْحَـظُ أنّ (فيـرث) يُعـدُّ أوّلَ مـن ابْتكـرَ هـذا المصـطلحِ وسـمّاهُ (COLLOCTION)، ومفادُهُ ضَمُّ الأشياءِ بعضُها إلى بَعْضٍ، أيْ كُلُّ كلمتينِ أوْ أكثرَ ترتبطانِ سويةً بصفةٍ متكرّرةٍ في لُغةٍ مُعيّنةٍ. [2]

أمـا لالانـد في معجمِـهِ الفلسـفيّ ، فقـدْ أشـارَ إلى ماديّـةِ التّركيـبِ في مفهـومِ الـتّلازمِ ، فـالتّلازمُ عنـدَهُ: يصـفُ حالـةَ التّجـاورِ، ومَـا ينـتجُ عنهـا بـينَ الأجسـامِ المادّيّـةِ، حيـثُ تـأتي بمعنى توضـيعَ أوْ موضـعةً، أيْ وضـعُ جسـمٍ مـادّيٍ بالنسـبةِ إلى الأجسـامِ المُتجـاورةِ. يُقـالُ بنحـوٍ خـاصّ على ظُـروفِ التّوضـيعِ الأوُلى الّتي تحـدّد فضـلا عـن قَـانونِ حركةِ سِلْسَلة مواقع لاحِقَةٍ.[3]

وبنـاءً على مـا تقـدّمَ يمكننـا القـولَ: إنّ الـتّلازمَ أوْ المُصَـاحبةِ اللّغويّـةِ حاضـرةٌ في كـلّ لُغـةٍ وكـلّ لِسَـانٍ، ولا تقتصـرُ على عصـرٍ دونَ آخـر، بَـل تَـرْتبطُ أساسـاً بالثقافَـةِ، وَوعي ودرجـةِ الاسـتعمالِ لتلـكَ الشـعوبِ، ولعلّهـا أكثرُ حضـورا في الكلامِ العادّي؛ كنتيجةٍ حتْميةٍ لاحتياجِ النّاس إلى التّداولِ والتّواصِلِ.

ثانيا: طبيعة الجغرافيا اللغوية لمدينة الناصرية:

تمتلـك مدينـة الناصـرية طبيعـة طوبغرافيـة متنوعـة مكنتهـا مـن تعـدد اللهجـات فيهـا، فـإلى جانـب الطبيعـة الحضـرية تواجـدت البدويـة والريفيـة والهجينـة فيمـا بـين تلـك الموصـوفات، وهـو أمـر عـزّز مـوارد الثـراء والتنـوع اللغـويين فيهـا. إذ تمتـاز الناصـرية بالتمـاس مـع خمـس محافظـات تمتلـك تنوعـا في اللهجـة واسـتعمالات أهلهـا لهـا، إذ تقـع البصـرة جنوبهـا مـع مـا تملكـه تلـك المدينـة مـن لهجـات أصـيلة ووافـدة رفـدت المعجـم العربـي و لاسـيما على مسـتوى اللهجـات بوابـل مـن المتلازمـات والألفـاظ، وإلى الشـمال الغربـي تحـادد الناصـرية مدينـة واسـط، وقـد انمـازت تلـك الحـدود بطبيعـة بدويـة اصـطبغت على إثرهـا المتلازمـات بشـيء مـن البـداوة في التعبيـر والاسـتعمال، أمـا المنطقـة الشـرقية فكانـت مـن حصـة مدينـة ميسـان التي تطفـو فيهـا اللهجـة الريفيـة المنمقـة ببقايـا التعبيـرات الرافدينيـة العتيقـة، فتسـربت إلى الناصـرية بعـض تراكيبهـا الموغلـة في التعبيـر الريفـي ذات التشـكيل الصـوتي المعتمـد على النبـر وتعطـيش الحـروف، أمـا الجهـة الشـمالية الشـرقية فتحـيط بهـا مدينـة السـماوة (المثنى)، ذات الطبيعة البدوية والحضرية، فأخذت عنها بعض استعمالاتها لا سيما فيما يتعلق بالأمثال والحكم وغيرها.

إن طبيعـة التـأثير والتـأثر باديـة ملامحهـا عـن طريـق التفتـيش عـن مـورد الأصـالة والتقليـد فيهـا، غيـر أن مـوارد التـأثير هـذه لا تمنـع مـن أن تكـون للهجـات الناصـرية وتعبيراتهـا اللغويـة خصوصـية تنفـرد بهـا وتنمـاز عـن أقرانهـا، وهـو مـا سـنلحظه في معالجـة التعبيـرات اللغويـة التي أنتجتهـا لهجـات مدينـة الناصـرية، وفي أدنـاه خريطـة مدينـة الناصرية تبين الحدود الجغرافية ومناطق الحضر والبدو والريف فيها.

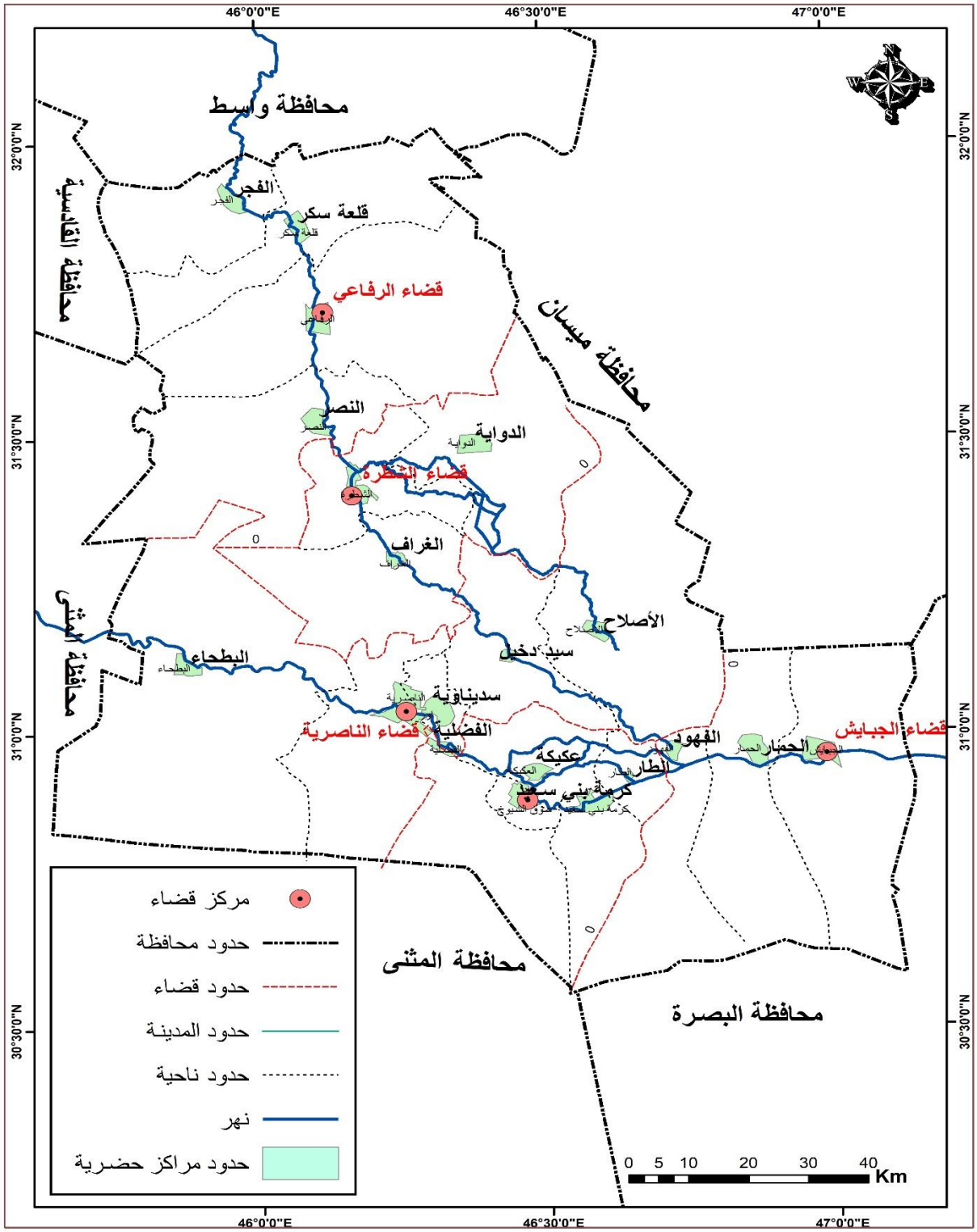
46°0'0"E
46°30'0"E
47°0'0"E
32°0'0"N
31°30'0"N
31°0'0"N
30°30'0"N
محافظة واسط
محافظة القادسية
محافظة ميسان
محافظة المثنى
محافظة البصرة
الفجر
قلعة سكر
قضاء الرفاعي
النصر
الدواية
قضاء الشطرة
الغراف
الأصلاح
سيد دخيل
البطحاء
سدينارية
قضاء الناصرية
الفضلية
عكيكة
كرمة بني سعيد
الفهود
الحمار
الطار
قضاء الجبايش
مركز قضاء
حدود محافظة
حدود قضاء
حدود المدينة
حدود ناحية
نهر
حدود مراكز حضرية
0 5 10 20 30 40
Km

ثالثا: السّماتُ العامّة للمتلازماتِ

تتمتّـعُ تلـكَ المُتلازمـاتُ بجملـةٍ مـنَ الخِصـالِ أهلّتهـا أنْ تكـونَ متلازمـةً دونَ غيرِهَـا مـن الوَصْـفِ، مِنْهَـا: سـمةُ التّرديـدِ والتّكـرارِ، وهِيَ سِـمةٌ تبلـغُ حـدَّ التّـواترِ أوْ تَكـاد، فـلا نجـدُ متلازمـةً لغويّـةً : لفظيّـةً كانـت أوْ تعبيراً اصـطلاحياً لمْ يوُسمْ بهذهِ السّمةِ، وهذا ما كشفَهُ تعريفُ المتلازمةِ أعْلاه.

فـالتّكرارُ علامـةٌ فارِقـةٌ فيـهِ، إذْ يعمـلُ على ضـخّ المعـاني فِي نفـوسِ المُتحـدثينَ، والتي بـدورِها تسـاعدُ على ترسـيخِ هـذه المتلازِمـةِ جـيلا إثـرَ جيـل، فـرغمَ تقـادمِ الأيّـامِ اِسـتطاعتْ المُتَلازمـات بِفعْـلِ عُنْصـرِ التّكـرارِ أنْ تَبْقَـى مـدَارَ اهتمامِ كلّ منْ احتاجَ إلى التّعبيرِ عنْ مَوقفٍ أوْ فَهمِ طَبِيعةِ شيءٍ ما.

أمّـا السّـمةُ الثّانِيـةُ، فهي التّنـاغمُ والانسـجامُ والتّرابطُ، إذْ تعمـلُ قواعـدُ السّـمةِ الأفقيـةِ على تَولِيـفِ دلالـةٍ بـينَ مكوّنـاتِ هـذهِ المُتلازِمـةِ، وبِالتـالي تفـرضُ عليهـا قُيـودا بمنـعِ اسـتبدالِ عنصـرٍ لغـويّ بـدلَ عُنصـرٍ لغـويّ آخـر؛ لِتصـلَ بها إلى حدّ المَنعِ، فالعربُ مثلا تقول: (قطيعٌ من الغَنمِ). ولا يَصحُّ القولُ أوْ الاستبدالُ ب(قطيعٍ من الطيورِ).

إنّ هـذا التّنـاغمَ يمـنحُ تِلـكَ المُتلازِمـاتِ الوضـوحَ في التّعبيرِ عـن نفسِـها؛ لأنّهـا مجتمعـةً أو مشـتقةً مـنْ تـراكمِ خبراتِ المُتحـدّثين الـذينَ توافقُـوا على إقـرارِ أنّ هـذه متلازمـةً، فضـلاً عـن سِـمةِ الاقتصـادِ اللّغـوي ، إذْ تعكـسُ المُتلازِمـاتُ مـدى اهتمـامِ المُـتكلّمِ بـالجنوحِ صـوبَ التّقليـلِ مـن الجُهـدِ الخـاصّ بـالتعبيرِ عـن خلجـاتِ الـنّفس وَمكنُوناتِهـا، وتعكـسُ بوضـوحٍ أيضـاً مـدى التـأثيرَ الّـذي تتركُـه في نفـسِ المُتلقـي، فتشـتغلَ تلـكَ المُتلازمـات بأقطـابٍ متنوعـةٍ تتفاوتُ درجةُ حَمْلِهَا المعرِفي والدّلالي بينَ مُتلازِمةٍ وأخرى، أوْ بينَ مَقامٍ وآخرَ.

أمّـا آخـرُ السّـمات الظّـاهرةِ فهي عـدمُ الإفـرادِ، وَهـذهِ السّـمةُ مختلـفٌ في تحقّقهـا؛ لأنّ القاعـدةَ تقتضـي التركّـبَ، لكـنْ لـيس بنحـوِ الاطّـرادِ في اللّغـة، فكثيرٌ مـن مُتلازمَـاتِ الجنـوبِ العاميّـةِ جـاءتْ بنحـوِ الإفـرادِ، وهي تنطـوي على حمولـةٍ مركّبـةٍ، مثـلِ كلمـة **(مشـيچيخة)** ، والتي تعني: جملـةً اعتراضـيةً أثنـاءِ الحـديث، حيـثُ يخـرجُ صـاحبُها عـن سياقِ الحدِيث، ويقولُ هذه: مشيچيخة [4]

إنّ قـوامَ هـذهِ المُتلازِمـاتِ و نفاذِهـا إلى حظيـرةِ البنـاءِ اللّغـوي والـدّلالي يعتمـدُ على عـدمِ اسـتعمالِها بنحـوِ الإفـرادِ، فالمَقـامُ هـو الجـاذِبُ لِتلـكَ المُتلازمـاتِ، وهي تعبيـرٌ يختـزلُ ثقافـةً كاملـةً: شـريطةَ أنْ تكـونَ مُتداولـةً وَمفهومـةً مِـن طرفي المُعادلـة الكلاميّـة (مـتكلّم – متلـق)، فهي ظـاهرةٌ لغويّـةٌ لا يُمكـنُ تجزؤهـا عـنِ المتحـدّثينَ بهـا؛ لأنّهـا تـرتبطُ باجتماعِهم وتنشئتِهم.

رابعا: فاعليةُ المُتلازِمةِ اللّغوية (لغة/ كلام):

إذا كانتْ اللّغة تقومُ على بعضِ الوَظائفِ الّتي تمتلكُها بفعلِ بنيتِها وتراكِيبها، فإنّ فاعليةَ الدّلالةِ فيها تكونُ تبعاً لتلكَ الوظائفِ، وهي وظائفٌ تمنحُها طبيعةُ اللّغةِ المدروسةِ، عاميّةً كانتْ أم فصحى (لغة عليا)، فقد قسّم اللّسانيون اللغةَ إلى لسانٍ وكلامٍ، وهذهِ القسمةُ لعبقري جنيف تشي بعدمِ التّساوِي، سواءٌ من ناحيةِ الأهميةِ أم من ناحيةِ الفاعليةِ الدّلاليةِ، فقد حدّد سوسير المجَالَ الدّلالي (اللساني)، لكلّ من السيكرونية والديكرونية (الآني والزماني)، استنادا إلى وظائفَ كلّ منهما، فالكلامُ عندَهُ يعني: الإجراءَ الفعليّ للّسان، أو هو التطبيقُ العملي للسان... أمّا الكلامُ فهو مختلفٌ عن اللّسان؛ لأنّه يقومُ بفردانيتهِ، والكلامُ كي يتحقّقَ لابدّ من أنْ تتظافرَ على انتاجهِ ظواهرَ نفسيةً ، وفيزيولوجيّة وفيزيائيّة. إذْ الكلامُ البشري يتبدّى في مظهرينِ مُتلازمينِ، الأوّل: اجتماعيٌّ متمثلاً في اللّغةِ، وفرديٌّ متمثلا في اللّفظ، ((حاضرٌ صفتُه الآنيّة، وماضٍ صفتُه الزمانيّة))[5].

لقد كانَ للتّقسيمِ الأفقي والعمودِيّ الّذي أقرّه سوسير أبلغُ الأثرِ في معرفةِ مكامنِ فاعليةِ تلكَ المُتلازماتِ، إذْ تتحقّقُ فاعليةُ الفَهمِ والدّلالةِ في المستوى الأُفقي وتنعدِمُ في العموديّ؛ لأنّ الأوّل يرتكزُ على تَظافرِ هذهِ المُتلازمات فيما بَيْنَها؛ لِيُشكّلَ فيما بعد جملةً، أوْ عبارةً، أو مسكوكةً لغويّة، أو حِزَماً معجميّة، تنفعُ في فهمِ المُحاوراتِ المُتداولة بينَ النّاس، إذْ تنحصرُ وظيفةُ البُعدِ الأُفقي في ترتيبِ هذهِ المتجاوراتِ ، بمَا ينسجمُ وطبيعةَ اللّغة المشكِلّةِ لَها.

بينما تنعدمُ هذهِ الفاعليّةُ في النّموذجِ العموديّ؛ لأنّه يقومُ على عُنصرِ الاستبْدَالِ، وهذا العُنصرِ يُفقِد فاعليةِ التّلازِم وسمتها العالية الّذي هو الانتظامُ والرّبطُ الّذي يشكّله التّجاورَ ((فالرّبطُ الخطيّ بينَ العَناصرِ تنتجُ عنهُ العَلاقةُ الأُفقيةُ، وتتألفُ هذهِ العَلاقةُ من وحدتينِ متعاقبتينِ، أوْ أكثر، ويكتسبُ العُنصر قِيمتُه في العَلاقة الأُفقية؛ لأنّه يتقابلُ مع كلّ ما يسبقُه أوْ يأتي بعدَه أوْ معهما في آنٍ واحدٍ)).[6]

خامسا: أهميّةُ المُتلازماتِ اللّغويّة، وتشملُ:

1: الاكتسابَ اللّغوي:

تشغلُ المُتلازماتُ اللّغويّة حيّزا كبيرا من معاجمِ اللّغات: عربيةٍ كانتْ أو أجنبيةٍ، رغمَ اختلافِها من لغةٍ إلى أخرى، بل داخلِ اللّغة نفسِها، الأمرِ الذي يمنحُها بعضَ الخصالِ ، فتكون لها أهميّة: إن على مستوى أهلِ اللّغة، وإنْ على مستوى أهلِ الفنّ الذين يسردُون وقائعَ تلكَ المُتلازِمات.

ولعلّ ما يميّز اللّغات الأخرى عنِ العربيةِ، أنّ أهلَ تلكَ الصّنعةِ أقرّوها من ضمنِ نُظُمِ التّعلِيم للّغة الثّانية –اكتساب اللغة الثانية- فعمِلتْ هذهِ المُتلازِماتُ على رفْدِ القدرةِ الكلاميّةِ بشيءٍ من المُرونةِ والاسترسالِ في الحديثِ، وهو ممّا يساعدُ الشّخصَ المتعلّم للّغة الثّانية من أنْ يكونَ عُنصراً لغويّاً متماهياً مع أقرانِه الجُدُد، أصحابِ اللّغة الأم، وللوصولِ إلى التلقائيّة بعيداً عن استدعاءِ الجُمل بشيءٍ منَ التّوقفِ.

تمارسُ المُتلازِمةُ أيضاً مبدأَ الاختزالِ، فالرّاغب بالاكتسابِ اللّغوي الثّانوي يجنحُ إلى تلكَ المُتلازماتِ ؛ ليوفرَ على سامعِه، وعلى نفسهِ جهداً نفسيّاً وذهنيّاً عاليين، غيرَ أنّ المتلازماتِ تلكَ تختلفُ بينَ لغةٍ وأخرى، وبينَ لهجةٍ وأُخرى، إذْ لا يُمكنُ الحديثُ عن متلازماتٍ متناظرةٍ بينَ اللّغاتِ، الأمرُ الّذي يجعلُ تعليمِها وتلقينِ سبلَ ترجمتِها مطلباً أساسيّاً في كليّاتِنا العربيّةِ، فضلا عن ذلك يمكنُ تدريس المتلازمات اللغويّة للطّالبِ لتمكّنِه من اكتسابِ لغةٍ سليمةٍ، وجعلِ خطابِه على درجةٍ عاليةٍ من الدّقةِ في التعبيرِ والفصاحةِ، وإثراءِ رصيده المعجمي من مفرداتِ اللّغة. (7)

وعليه تكونُ معرفةُ المُتلازمة اللغويّة بالنسبةِ للصنفِ أعلاه نوعاً من المتعةِ الّذي تمنحُه له تلكَ المعرِفة، من اجتراحِ الأخطاءِ والوقوعِ في شركِ التّعبيرِ الخاطئ، فالاقتصادُ في اللّغة سمةٌ تجنحُ إليها تلكَ المُتصاحباتُ على اختلافِ أنواعِها وأصنافِها.

ولا تقتصرُ أهميّة تلك المتلازماتِ على ما تقدّم ذكرُه، بل أنّ حضورَ واهتمامَ بعضَ العُلومِ باللّغويات بصورةٍ عامّةٍ وبطريقةِ تصميمِها، يُعطِي أهميةً قُصوى لتلكَ المُتلازماتِ، وعلى النحو الآتي:

أ-علمُ النّفسِ المعرفيّ:

يحضرُ هذا العلمُ بفاعليةٍ كبيرةٍ ، وحضورُه لا يتّسمُ بتفسيرِ التّعابيرِ الاصطلاحيّة ككشفٍ لغويّ، بل لمعرفةِ طبيعةِ الانتاجِ الدّلالي، والفهمُ المتحصّلُ من ذلك الانتاج. إذْ يُمارس الاستدعاء عمليةً إجرائيّةً يقومُ بها المُخ، فالذّهنُ البشريُّ يمتلك ذاكرتين: بعيدة وقريبة. والاستدعاء المتحصل يحضر مع الذاكرة البعيدة؛ لأنه يُعيد ترتيب ما توارد إلى الذهن من أجل الفهم، وهذه المتلازمات يتم استحضارها مباشرة من الذاكرة بعيدة المدى على شكل حزمة واحدة متجاورة القيود. **(فبادللي)** مثلا، أوّل من ابتكر مصطلح الذاكرة العملية أو الحلقة الصواتية، وهو جزء من الدماغ يسهل عملية التدّرب على نطق العبارات، سواء المستدعاة من الذاكرة أم تلك المسموعة في الواقع الخارجي، وما بين الذاكرة طويلة المدى، والأخرى القصيرة تعمل الذاكرة العملية كمنصة إطلاق لغوية، هنا تتشكل وتستمر تلك العلاقة التي تنشأ بين شكل العبارة ومعناها. (8)

في هذا المورد تقوم الذاكرة (العربية)، على ممارسة الاستدعاء ولو بشكل مكرر، عندما يتوارد إلى داخل تلك الذاكرة مصطلحا تعبيريا يتطلب فهمه هذا الاستدعاء من المخزون المعرفي، فلو نطق أحدهم في أحد المجالس مادحا شخصا يعرفه، اولـه موقف كريم معه بتركيب: ((أيا ذيب المهيعات))، فالذاكرة تفرض على المتلقي ممارسة فعل الاستدعاء؛ لتنتقل تلك المفاهيم إلى داخل المخ في عملية سريعة جدا، فهو يعمل على تنشيط مساحة الخزين المتراكم من المفردات والمعاني، فالذئب معروف، وله خصال يشبه بها بني البشر للمدح والفخر، أما (**المهيعات**)، فتحتاج إلى إعادة إثارة لتلك الذاكرة من أجل فهم مورد المدح في هذا المقام.

والمهيع: الطريق الواسع المنبسط، والميم زائدة، وهو مَفْعَل من التهيّع، وهو الانبساط. [9] فمقام المدح هنا لترسيخ مورد التشبيه بحركة الذئب في القفار الواسعة، وهو مقام مدح يعرفه البدوي بنحو الخصوص؛ بفعل اقترابه من طبيعة هذا النسق الثقافي السائد في بيئته.

ب-المتلازمات والتداولية:

تتكئ المتلازمات على مسار اللغة المنطوقة في معظم مواردها، وهو أمر تشترك فيه مع حقل لغوي ينظم مسار هذه المنطوقات، ويخرجها مفهومة ومتناسقة، استنادا لعناصر لغوية – اجتماعية، تجتمع لتشكل توليفة لغوية خطابية مقبولة، تعزز فكرة التواصل وتمنح أعضاءها المتحاورين مساحة لاكتشاف المضمر وما يترتب عليه من أجل تحقيق فهم تام للعبارات اللغوية المنطوقة، وهو ما أقررناه سابقا من أن عنصر التداول هو معيار رئيس وواضح في ارتباطه مع المتلازمات المعتمدة على فكرة الكلام لا اللغة.

إنّ عملية قبول دعوة، أو رفضها والامتناع عن الاتيان بها ، يُعدُّ من أدبيات الكفاءة الاجتماعية اللغوية، وهي عبارة عن القدرة على قياس السياق الذي من خلاله تتحقق بعض المواقف، فالبحث في المتلازمات التداولية ينصب على ثلاثة مواضيع مهمة:

- البنية كسلسلة تتردد كثيرا.
- استخدام هذه السلسة في مواقف معينة.
- الوشائج والعلائق الاجتماعية، التي تربط أفراد المجتمع. [10]

ولعلّ ما يبين مدى فاعلية الأنماط التداولية أنّك تجد أوصافا لتلك المتلازمات تعرف بألفاظ دارجة، وأنماط متداولة، وموارد أو بنيات وعبارات تُراعي مقتضى الحال، فالكفاءة التداولية يكتب لها النجاح إذا حققّت البعد التواصلي بصورة سَلِسَةٍ ومناسبة، فعبارات التأدب الاجتماعي أمثال: ((يا طويل العمر، ومحفوظ))، عادة ما تستعمل بصورة عفوية ومكررّة في بيان شأنية المخاطب ومكانته . أو (أنت راعي الأوله (الأولى)،

وتعني: أنت صاحب السبق في الخير والمعروف، وهذه المتلازمات يختلف صدقها وكذبها بحسب طبيعة الحال، فهي متفاوتة في التحقق والقصد من ثقافة إلى أخرى ومن نسق إلى آخر. فالمتخاطبون في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همّه إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يُقصد .. فما يُقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال، ووسائل الاستدلال. (11)

وبمقدار ما تحققه تلك المتلازمات من كفاءة تداولية عن طريق القوة الإنجازية، وأفعال الكلام، تكون حاضرة في معجم المتحدثين بها، وتحقق الغرض والغاية التي من أجلها سيقت. فتكون المتلازمة اللفظية هي من تُحدّد طبيعة التداولية، سواء أكانت وظيفية أم تنظيمية أم اجتماعية استراتيجية، يكون غرضها في النهاية تحقيق هدف تواصلي؛ لأنها ترتبط بالدرجة الأساس مع الكفاءة التواصلية، ويُقاس نجاح وفاعلية هذه المتلازمة بمقدار ما تحققه من تواصل بين أبناء اللغة الواحدة.

ج: الفهم

إذا ما غادرنا مفهوم الاكتساب كغاية تعليمية يسلكها طلبة العلم في تعلّم أو اكتساب لغة ثانية بعيدا عن اللغة الأم، فإن الهدف الأسمى في ورود واستعمال المتلازمات يكون قائما على الفهم، فالعراقي مثلا الوافد من نينوى إلى جنوب العراق يشترك مع قرينه العراقي بمعجم لغوي واحد كبنية وتركيب، لكنّه يفتقد لبعض الأسس والنماذج التي تجعله متواصلا بدرجة تصل إلى التمام، وهذا الفهم هو سنام المتلازمات اللغوية، فليس الغرض تعلم لغة ثانية بقدر ما يكون فهم الخطابات هو المحصلة النهاية للتواصل، ولكي يكون الفهم تامّا لابد من توفر جملة من العوامل، منها:

- معرفة الوافد إلى هذه البيئة –أي بيئة- بدلالة التراكيب ومقاصدها.
- معرفة أنماط وطرق التعبير المعتمدة على المورد الصوتي كالنبر والتنغيم.

ونحن إذ نجد ذلك حاضرا في فض النزاعات التي تحدث بين أبناء البيئة الجنوبية، فعادة ما تفرض مجالس الحلّ هذه نمطا من المتلازمات يتقنها مَن تُوكلُ إليه مهمّة الصلح بين المتخاصمين، ولا تسمح هذه المواطن لأيّ فردٍ باستعمال أي متلازمة، بل لابد من أن يكون عنصر القصد وحسن التوظيف والاستعمال سيد الموقف وسنامه.

فمتلازمةٌ مثل: (يَشْـرَه عليـك، أو علـى صـديقه) ، تعني: العتب، فله شرهة عليه، أي: له حقٌّ. وأصله من شَرِه، ورجل شرهان في نفسه أي حريص. [12] ومن أسمائهم: شرهان (فعلان). وشره كفرح غلب حرصه، يقولون عنده شراهة في كذا. [13]

في حين تندرج بعض المتلازمات في باب المفارقات، حين يوظّفها أصحاب المعجم الدلالي في مواقف التهكم والسخرية، فقولهم: (فـلانٌ شِـفيّهْ)، تُقال في العادة باستعمال اسم الاشارة (هذا)؛ إشعارا وإشهارا من المتحدث بتقليل قيمة المتّصف بهذا الوصف، و (الِشـفيّهْ)، بالهاء الميتة (هاء السكت)، لا تقال للمؤنث؛ فهي فصيحة صحيحة: من شفاء الخاطر، والشفاء ما يبرئ من السقم، وهو يشفي بشجاعته السقم. [14]

فالعراقيون يستعملون هذه المتلازمة بنحو التضاد، إذ معناها الشهم أو البطل، الذي يستجيب لنجدة الناس عن طيب خاطر بتلبية ما يطلبونه منه، وأنه يشفي خواطرهم بما يُسديه إليهم من خدمات.

إن فهم هذه المتلازمة ضرورة حتمية لأبناء اللهجة الواحدة؛ لئلا يقع مستعملوها في محظور التواصل، وتحقيق المنفعة الدلالية في توظيفها، فالمقام وطبيعة المتحاورين تفرض تابوات على استعمال بعض المتلازمات؛ لأن الفهم لهذه المتلازمات يعني صيرورتها ضمن المعجم الذي يتداوله النّاس بصورة ناجحة وناجعة.

سادسا: مظاهر المتلازمات اللغوية

لم يقتصر تمظهر المتلازمات بنحو التركيب في عامية الجنوب العراقي ولهجاته، بل شمل هذا الظهور حضور المتلازمات بنحو الإفراد، فالمظاهر الإفرادية وإن كانت قليلة مقارنة بالمركبات ، إلاّ أنها تشي بخصوصية متميزة، فالبعد الدلالي الذي يحكم هذه التمظهرات هو الحاكم على السياق الفعلي لورود تلك المتلازمات في أمشاج حديث العامة وقصصهم. ويمكننا أن نعد القسم الأول تقسيما يعتمد عدد المركّبات، فهو إما أن يكون مفردا، أو مركبا، في حين نجد تقسيمات عدّة للمتلازمات، أشهرها: تقسيم (بنسون)، والذي أشار فيه إلى نوعين من المتلازمات، هما: المتلازمة النحوية ((Grammatical Collocation))، والمتلازمة المعجمية((Lexical Collocation))، في حين صنّفها (لويس)، إلى أربعة أقسام: قوية وضعيفة ومتكررة وغير متكررة، ويتم التمييز بين هذه المتلازمات على أساس ثبات التركيب ومدى قوة التلازم. [15]

إن فاعلية حضور هذه الأنواع من التمظهرات يعتمد أولا وبشكل أساس على طبيعة المورد والمقام الذي يستدعي مثل هذه الأنواع، فالمقام البياني غير المقام الديني والاجتماعي والسياسي، فلكل واحد منها نظامه

الدلالي وقاموسه المعجمي، الذي ينهل منه في توظيف مفرداته من أجل ديمومة زخم الدلالات؛ ليجعل الكلام ينساب بصورة طبيعية غير متعثرة.

ومثال المتلازمة المفردة قولهم في موقف أو سياق التشاحن والتباغض: (عنتريات)، ومفادها، ادّعاء الشجاعة والبطولة والسطوة ، وهو تعبير يحمل مخزونا ثقافيا قديما منسوب إلى عنترة بن شداد، ويحمل بين أمشاجه ظلالا من التهكم والسخرية، فهو يُطلق على من يتشدّق بالأقوال دون الأفعال. ومنها أيضا كلمة (مميوص)، تُقال للذي تردّت أخلاقه، وانسلخ من طبيعته الآدمية، وهو استعارة من مفردة (موص)، يقول ابن فارس:" الميم والواو والصاد كلمة واحدة ، والموص: غسل الثوب. يُقال: مصته أموصه.. قال امرؤ القيس:[16]

بأسود ملتف الغدائر وارد وذي أشر تشوصه وتموص

لقد تعدّدت وسائل تصنيف المتلازمات اللغوية خلال تاريخ اكتشافها؛ والسبب في ذلك التعدد أن الباحثين- كما أسلفنا- وجدوا تلك المتلازمات حاضرة في علوم وفنون مختلفة، فلم تُبحث تلك الظاهرة أوّل أمرها كظاهرة لغوية لذاتها، بل وجدت في تضاعيف الانثروبولوجيا والأعصاب وتحليل الخطاب، ولم يتمكن هؤلاء من رسم ملامح تلك المتلازمات ؛ لاختلاف البعد الوظيفي بينهن وبين تناولها داخل أروقة علم اللغة واللسانيات.

لاحظ كل من (راي وبيركنز)، أن هناك أكثر من أربعين صنفا ومصطلحا استخدم للدلالة على ظاهرة التلازم ، منها: " توليفة، متتابعات، صيغة مأثورة، كلمات متجاورة، تراكيب لغوية ، تعابير ثابتة، عبارات مركبة، أشكال تعبيرية جامدة، كلمات افتتاحية، عبارات كلية شاملة، عبارة اصطلاحية، تعابير مسكوكة، حِزم معجمية، معنى ثابت، غير محوسب، متحجر، جمل إنشائية، تجميعي، تكرار، أفعال كلامية، أمثال، استعارة، عبارات دارجة، سلسلة متجمعة..." [17]

فالعبارات المسكوكة مثلا عُرّفت بأنها: عبارات ذات معنى شبه واضح ينحو نحو المجاز، وهي عبارات لا يمكن أو لا يجب أن تحمل معنى يمكن ادراكه من خلال معنى الكلمات التي تشكلها، وكذلك ألاّ تسمح بنيتها بأيّ خلل في تركيبها من تبديل أو تغيير. [18]

وعليه فالمعاني المتحصلة من العبارة المسكوكة هي غيرها في الدلالة المعجمية لتلك المفردات، بل المتلقي يجنح صوب رمزيتها ومجازيتها، فالمجاز هو الطريق الموصل لهذه المسكوكات حتى تكون متآلفة المعنى عند المتلقين. فقولهم: ((يَدْعَةُ مِگوار))، أي جدعة مكوار، كناية عن قرب الأشياء، وهو مرادف لقولهم الآخر:

حذفــة حصـــاة ، أي مرمى سهم. وجدع في اللغة معناه: القطع، وقيل هو القطع البائن في الأنف والأذن والشّفة واليد... والجدعة: ما بقي منه بعد القطع. (19)

أمّا المگوار: فهي عبارة عن عصا غليظة يوضع في أحد أطرافها مادة القير، مكونة كرة صلبة في أعلاها تشبه المطرقة، وهو سلاح استعمله الفلاحون العراقيون كوسيلة للاشتباك مع العدو عن قرب، وهو كناية عن التعبير عن قرب الأشياء، أو الأماكن، وفيه قلبت الجيم ياءً، وهي لغة تميم، فقد ورد في فصيح العربية قول الشاعر:

إذا لم يكن فيكن ظلٌّ ولا جنى فأبعدكن الله من شيرات

قال الصقلي: " من ذلك قولهم للمسجد: مسيد، حكاه غير واحد، إلاّ أن العامّة يُكسرون الميم والصواب فتحها". (20)

ومن ميزات هذه العبارات المسكوكة: أنها لا تمنح الحرية للمتكلم ولا للمتلقي بإضافة قيد، أو بنية لغوية لبنيتها، فهي أشبه ما تكون ممتنعة كالقلعة الحصينة، فهي فرع معقد، وتتسم – في الغالب- بالغموض غير المخل، بل ربما امتازت بعضها بأنها حاملة لمعنى مخاتل، رغم عدم تقبلها للاستبدال، أو الترادف، وإذا كانت كذلك فهي أيضا لا تسمح بالتبدل القواعدي النحوي.

أما (الحِـزَم المعجميـة)،فتكاد تخلو منها عامية الناصرية ولهجاتها؛ لأنها مختصة بالحقل الأكاديمي،و لا سيّما المدون منها، ويتم التعرف عليها عن طريق برامج حاسوبية يتم من خلالها تحليل المدونات النصية، وهي حاضرة في العلوم الصرفة والتطبيقية بصورة أساسية، وتنماز بأن لها وظيفة مرجعية تشير إلى محسوس أو مجرد أو محتوى معين. (21)

أمّا (المتلازمـة المتكـررة)، فتكاد تكون واضحة للعيان وعلى نطاق واسع، وتسمى عند بعض الباحثين بـ (التجميعات المعجمية) (22) إذ يعمد التكرار على التوكيد والإفهام، وعلى تقرير الفكرة أو الرأي في ذهن المتلقي، ولعل تعريف التكرار عند البلاغيين، لا سيما القدماء منهم هو ما يفي بغرض الدراسة، حيث يكشف عن أقسام التكرار بصورة واضحة، ومفاده: "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع، أو المعنى الواحد بالعدد، أو النوع". (23) غير أن صور التكرار هذه تختلف باختلاف عنصر السبك النّصي الذي ترد فيه، فالتكرار ليس على وتيرة واحدة، فالتام منه: هو ما كان قائما على ترديد أو تكرار كلمة كاملة، وهو تكرار كلي محض، إذ المسمى واحد، أما النوع الثاني: فهو التكرار الجزئي، ونعني به: تكرار عنصر قد سبق استخدامه، ولكن في أوصاف وهيئات مختلفة ، وهذا الصنف على قسمين، الأول: يكون فيه الثاني بمعنى الأول، فيؤتى به تأكيدا؛

لأن لفظه مخالف للفظ الأول، مثل: (غني ملي)، والثاني: يكون فيه معنى الثاني غير معنى الأول، مثل: (هذر مذر). [24]

إن ورود هذه المكررات في المتلازمة لا يتم بصفة أو صورة عشوائية، بل يخضع لاعتبارات صوتية جرسية، أو لاعتبارات الترادف وما يترشح عنه من معان، فاعتبار التواصل الذي هو أحد مقومات التلازم يمنح النص (المتّصف بالتكرار)، إمكانية توصيل غرضه؛ بفعل اعتماده على فكرة التكرار؛ لأن النص كبنية كلية لابد وأن يتصف بالترابط والتماسك، فالإعادة والتكرار مع اختلاف النوع يحقق هذا الترابط بصورة تعزز في نفس المتلقي الطاقة الدلالية للمتلازمة المتكررة، وذلك عمل الإحالة الذي يمارسه التكرار بوصفه يحيل على أنماط من صور الدلالة المتعددة.

والملاحظ على متلازمة التكرار في عامية الناصرية أنها تُكثر من النوع الثاني للتكرار- أعني الجزئي- ومن صوره لديهم: (خَص نَص)، وهو تعبير من أبواب الاتباع اللفظي، ويقصد به: نقل الخبر بنحو الدقة والخصوصية دون أي زيادة أو نقصان. ولعل هذا القول قد تسرّب إلى اللهجة الشامية، وعدّ من أمثالهم وأقوالهم. لكنه بقي محافظا على دلالته، قال ابن فارس:" الخاء والصد أصل مطّرد منقاس، وهو يدلّ على الفُرْجَة والثُّلمة.. ومن الباب: خَصَصْتُ فلانا بشيء من الخصوصية بفتح الخاء، وهو القياس؛ لأنه إذا أفرد واحد فقد أوقع الفُرْجة بينه وبين غيره". [25]

ومن متلازماتهم قولهم: (سلَم بلّم)، وهو تعبير متداول في البيوعات والشراء، ويستعمل أيضا في حلّ بعض النزاعات المادية، ومعناه: ادفع الثمن – أيّ ثمن – وتسلّم حاجتك واسكت، فـ (بلّم)، من الإبلام وهو السكوت. [26]

ومنه أيضا: (صاموط لاموط)، الذي يدل على الصمت التام وانقطاع الكلام. ومنها أيضا: (شاطي باطي)، التي تعني: إلقاء الكلام على عواهنه وبدون حذر، أو مبالاة،(و **الشاطي**)، من الشاط، وهو تجاوز الحدود في الشطط، والشطط: الافراط والتباعد عن قول الحق. " فأصل الإشاطة: الإحراق. يقال: أشاط بدمه عمل في هلاكه، وتشيّط دمه، وأشاط فلان دم فلان إذا عرّضه للقتل". [27]

أمّا كلمة (**باطي**)، فهي من التكرار المتجزئ، قيل في معناها: أنها وردت لغرض التجانس النغمي لكلمة (شاطي)، وقيل إنّ أصلها من الفعل (باط)، كقول إبن الاعرابي: باط الرجل يبوط إذا ذلّ بعد عزٍ، أو إذا افتقر بعد غنًى. [28]

إن طبيعة هذه المتلازمات المكررة بنحو الجزئية يكاد لا يكون مطردا في لهجة الناصرية وعاميتها فحسب، بل يمتد إلى عموم العراق، لا سيما بعد الهجرات التي مورست على أبناء هذه المدينة وانتقال كثير منهم إلى السكن خارج أسوار تلك المدينة، لذا تتغير هذه الأصناف تبعا لتقادم الزمن والبيئة، ومما يلاحظ عليها أن فيها تداخلا مع بعض اللهجات بوصفها بشيء من الضبابية.

أما (متلازمة الأمثال)، فهي الأكثر حضورا وفاعلية في استرسال الكلام وتوصيله، حتى غدت جزءا لا يتجزأ من حياتهم وقاموسهم التداولي اليومي، بل يكتفي بعض المتحاورين في التعبير عن خلجات أنفسهم بأمثلة متنوعة دون الحاجة إلى ذكر التفاصيل والشواهد. فالمتحاوران يفهمان جيدا التحول أو الإحالة التي يمارسها المثل في عملية تحول العلاقة الغامضة من المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي. ولا يقتصر المثل على ذلك المورد فحسب، بل يشمل اكتماله بعض جنوحه لجملة من الخصائص التداولية التي لا تقتصر على الفرد لوحده، بل تشمل أبناء المجتمع الواحد . قال الزمخشري: الأمثال قصارى فصاحة العرب العرباء وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة خوارها وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة، والركن البديع إلى ذرابة اللسان، وغرابة اللسن، حيث أوجزت اللفظ، وأشبعت المعنى، وقصرت العبارة، وأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، فأغنت عن الإفصاح. [29]

هذا الحضور المتكرر للأمثال كمتلازمة لغوية يتّسم بالنشاط والنفاذ، حيث تغادر حيز المكوث داخل نسيج اللغة، لتنتقل إلى أفواه المتكلمين وأذهانهم بعيدا عن التكلف، إذ يمارس الاستدعاء الذهني عملية الترتيب والإحالة ليس بنحو الاعتباط، وإنما تكون القصدية حاضرة في ترتيب انسيابية تلك المركبات اللغوية، إذ تتعامد الأمثال مع بقية الكلام وكأنها جزء لا يتجزأ من منظومة معدة سلفا داخل الجهاز اللغوي البشري، فكانت الأمثال عبارة عن: عبارات متلازمة المكونات، متواترة في الاستعمال، تحمل عصارة تفكير العرب وأخلاقهم وعاداتهم. [30]

لقد امتازت تلك الأمثال بخصال تشابه خصال المتلازمات اللفظية، بأنها مقتضبة ومباشرة، وذات بنية سهلة يمكن أن تجد لها مثيلا، تحمل معان مجازية تميزها عن غيرها، وذات بنية صرفية كلاسيكية مهجورة. [31] فتمارس الأمثال وظيفتين أساسيتين، هما: الاستدعاء والإحالة. ويقود هاتين الوظيفتين عنصر المجاز؛ إذ يعد المحرّك الفعال الذي ينتقل بأذهان المتلقين من حيّز دلالي مباشر إلى آخر يعتمد على تفكيك ومزاوجة العناصر اللغوية المشكلة لتلك المتلازمة .

ولا يختلف المثل الشعبي أو العامي عن المثل في الثقافات الأخرى، سواء أكانت محلية أم كونية عالمية، من حيث شكله وهيكليته، أو من حيث مدلوله ووظيفته، فهو أشبه ما يكون بالحكاية المختزلة، أو هو ثيمة

القصد المركزة التي تأتي لمواصلة الكلام، فغدا بمثابة المحطة التي يقف عندها ذهن المتلقي للتأمل والغوص في سباحة المعنى، فتحيل هذه المحطة – في الغالب – على مرجعيات ثقافية تتجذر مكنوناتها في الذاكرة الجماعية التي ينتمي إليها ذلك المثل، فهنالك خيط يجمع تلك الأمثال، ولعله هدف تسعى أليه منظومة المثل القيمية، فهو خيط اللامباشر والانزياح والمراوغة، وممارسة مثل هذا الإجراء يُعدُّ انتقالا من الآلية و المباشرة الحرفية إلى الحركية والتعبيرية، وشدّ عرى الخطاب. (32)

فالخزين الدلالي الذي يجب توافره عند الناطقين بهذه اللجة يحيل بدوره إلى الدلالات المحتملة لتوارد هذا المعنى داخل تلك الحزمة المتلازمة، ويحضر تداول هذا المثل كمتلازمة لفظية بنحو التغاير بفعل طبيعة التكوين السكاني لتلك المدينة التي احتوت في طوبوغرافيتها ونسيجها ثلاث لهجات (مدنية، ريفية، بدوية)، وغالبا ما يتم استدعاء (مثل)، من تلك البيئة للاستشهاد به في بيئة ربما تكون غريبة عن موطنه الأصلي، غير أن سمة النفاذ والثبات سواء في تركيب المثل أو في دلالته، هما العنصران اللذان يشدّان من قوته وفاعليته، وبالتالي ديمومته وحضوره لمجرد الاستدعاء المناسب، فالعرب تجري أمثالها على ما جاءت عليه، وكأنها سنة ثابتة بعدم المساس بالنمطية التركيبية للمثل؛ لأن من شرط المثل ألاّ يغير عما يقع في الأصل عليه. (33)

لقد أجازت العرب لمستدعي المثل النطق به أو الخروج فيه على نظام التشكيل القواعدي، شبيه ما فعلته مع الضرورة الشعرية؛ لأنه قد يصدر شعرا أو نثرا أو سجعا، وقد يصدر عن أفواه أناس لا يبالون بالقواعد؛ حفاظا على قانون الثبات الذي وسمت به الأمثال. (34)

وبناء على ما تقدّم: فإن القيمة الحقيقية للأمثال كمتلازمات لغوية (لفظية)، كامنٌ فيما تثيره تلك الحزم في ذهن المتلقي ونفسيته، فتجعله يفتش عن المعنى الكامن خلف ستار هذا المركب اللفظي، محاولا اختراق عنصر الوضع اللغوي، كي يصبح هوس المتلقي مرتبطا بالمعنى بعيدا عن صورة اللفظ ومادته، فيمارس المتلقي عملية الربط بين الظاهر الذي يبرز خلسة ويتوارى خلف دعائم المحمولات الدلالية، التي سيق من أجلها، غير أن عنصر الموقف وسياق الحال هما بالنهاية المحطة التي يقف عندها المثل، وينطلق بعدها في دورته الشفاهية –في الغالب – جيئة وذهابا على ألسنة المتحدثين، وإبراز فاعليته كلّما استدعى الأمر حضوره.

ومن أمثلتهم المتداولة: ((النسوان عروك مرّان))، والمُرّان: نبات طويل السّاق ينبت في الهور، وعلى جرف (الشط)، يتمتع بخاصية الترابط مع بعضه، وصفته هذه لازمت النساء دائما، في لغة استعملها الجنوبيون(الذيقاريون)، بكثرة، ويستدلّ به على تواشج العلاقات بين الناس عن طريق النساء، وإن تباعدت قرابتهم

وأنسابهم من جهة الآباء، فدلالة التشبيه هاهنا تكمن في أن هذا النبات مستعارة وظيفته للدلالة على قوة التواشج والترابط، فالعروق التي تبدو ظاهرة فوق سطح الماء هي في الحقيقة متباعدة في وجودها شحيحة التقارب، لكن الغرابة في هذا النبات أنه مهما تباعدت المسافات بين تواجده اقتربت جذوره وتعانقت تحت سطح الماء واشتبكت لترسم خارطة معقدة التداخل يصعب تميزها وفرزها عن بعض. [35] ومن أمثلتهم قولهم: ((الإيد الماتلامسها بوسها))، وهو مثل يضرب إلى ضرورة مصانعة الأقوياء، ويروى بصيغة أخرى (الإيد الماتشابجها بوسها)، وقد وردما يشبهه في الشعر العربي:

وقبّل يد الجاني التي لست قادرا على قطعها وارقب سقوط جداره [36]

ومن الأمثلة البدوية في ذي قار أيضا: ((فريدات الزّو))، والزو: القرينان من السفن وغيرها. جاء زوّا إذا جاء هو وصاحبه ، والعرب تقول: لكل مفرد توٌّ ولكل زوج زوٌّ. [37]

و(الزّو) آلة لجزّ صوف الأغنام وشعر الماعز، ويسمى بالفصيحة (جوو)، يصنع من الخشب قديما، ثم تطورت فكرة صناعته من عظام الماموث، قبل 4000 عام قبل الميلاد، وقد صنع في جبل كرساف قرب كاتية، لأنها كانت تعتمد على الماء في صناعتها، والمنطقة تقع حاليا شمال مدينة الموصل قرب ناحية القوش. وكلمة (**فريدات**) مصغر فرد، والمثل يضرب بنحو التهكم والسخرية لمن أراد أن يصف مجموعة أو أقلية ضعيفة أو قبيلة صغيرة، فيسِمونها بهذا الوصف كناية عن قلتهم وتفرّقهم، فهم أشبه ب (فردات) مجزّ الصوف (الزّو)، والذي عند تفرّق أحد أذرعه عن الآخر يصبح بلا فائدة. ومن أمثلتهم أيضا: ((العيش درابيش الشر))، وهو مثل يضرب للذي لا يحمد النعمة التي هو فيها، إيذانا بالإحساس بزوالها بسبب تبطّره وتغطرسه. ومنه أيضا قولهم: ((منيحة وعد بدو))، والمنيحة: البقرة التي يعتمد عليها أهلها في تزويدهم من حليبها، والبقرة الحلوب التي يستفاد من ألبانها لإعاشة العائلة. جاء في لسان العرب:" منحه الشّاة والنّاقة، أعاره إياها، ومنحه النّاقة جعل له وبرها وولدها ولبنها، وهي المنحة والمنيحة، ولا تكون المنيحة إلاّ المارة للبن خاصّة.

(38)

والمثل في هذا المورد سيق للتعبير عن وصف بعض الأشخاص الذين لا يحسنون تدبير أمورهم (حياتهم ومعاشهم)، رغم توفر سبل المعيشة، أو هو كناية عن الاستهجان والاستخفاف لمن لا يعرف كيف ينظّم أموره ويُسيّر حياته.

نتائج البحث

1.معجم اللغة المحكية والعامية زاخر بالمتلازمات، إذ يشكل دعامة دلالية للمخزون اللغوي والدلالي لأصحاب تلك اللهجات، فهو يرفدهم بما يحتاجون لفهم المحاورات التي تُجرى فيما بينهم.

2.لا يقتصر حضور تلك المتلازمات على نمط محد من أنماط المتلازمات المتعارفة، فالحِزَم المعجمية والعبارات المسكوكة والأمثال وو... غيرها كثير تنشط في القاموس الذهني للجماعة اللغوية في عامية الجنوب الذ يقاري.

3. ترتكز مهمة المتلازمات في عامية الجنوب عامة والناصرية خاصة على الفهم اللغوي للعبارات التي تنتجها العقلية اللغوية هناك، فالفهم سنام العملية وعمادها، أما الاكتساب اللغوي فتكاد نسبته تكون ضئيلة مقارنة بالفهم.

الهوامش:

(1) ينظر: معجم علم اللغة النظري:125، ومقدمة في أسس المتلازمات اللغوية:43 –44، والمتلازمات اللفظية في المثل القرآني: 64 –65

(2) ينظر: المصاحبة في التعبير اللغوي: 22، والترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية :68

(3) ينظر: موسوعة لالاند الفلسفية: 182/1

(4) ينظر: معجم الأهوار :248/2

(5) الاستقلال في الفكر اللساني أطروحة دكتوراه: 175

(6) علم اللغة العام:143

(7) ينظر: اللسانيات الحاسوبية وآفاق تطوير ترجمة المتلازمات اللفظية، بحث : عبد اللطيف الغزواني، مجلة اللسانيات التطبيقية: مج 4/ عدد 2/ 2020، جامعة عياض

(8) ينظر: مقدمة في أسس المتلازمات اللغوية:65–67

(9) ينظر: لسان العرب: 379/8

(10) ينظر: مقدمة في أسس المتلازمات اللغوية:113 – 114

(11) ينظر: الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة:187

(12) ينظر: العين، 401/3

(13) ينظر: تطور الدلالة المعجمية بين العامي والفصيح ، معجم دلالي:432

(14) المصدر نفسه:438 –439

(15) ينظر: اللسانيات الحاسوبية وآفاق تطوير ترجمة المتلازمات اللفظية، بحث : د. عبد اللطيف الغزواني، مجلة اللسانيات التطبيقية، المغرب مج/4، عدد/2/ 2020

(16) مقاييس اللغة:285/5

(17) ينظر: مقدمة في أسس المتلازمات :42 –43

(18) ينظر: المصدر نفسه:49

(19) لسان العرب:41/8

(20) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان:227 – 228

(21) ينظر: مقدمة في أسس المتلازمات اللغوية:53 – 54

(22) ينظر: المتلازمات اللفظية في المثل القرآني:81

(23) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماني، تحقيق: علال الغازي:476

(24) ينظر: المجاز وأثره في الدرس اللغوي:215

(25) مقاييس اللغة:152/2 – 153

(26) ينظر: مقاييس اللغة:291/1

(27) ينظر: لسان العرب: مادة باط

(28) ينظر: المصدر نفسه.

(29) ينظر: المستقصى: 119/2

(30) ينظر: المتلازمات اللفظية في اللغة والقواميس العربية: 23 – 24

(31) ينظر: مقدمة في أسس المتلازمات اللغوية:56

(32) ينظر: ينظر: فن القص في النظرية والتطبيق، نبيلة إبراهيم:201

(33) ينظر: المزهر للسيوطي: 487/1 – 488

(34) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام:359/8

(35) ينظر: معجم الأهوار:239/2

(36) ينظر: الأمثال العامية في العراق:80، والبيت ينسب إلى الإمام علي ع

(37) ينظر: لسان العرب:363/14

(38) ينظر: لسان العرب:607/2

- **المصادر**

- الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية– الاسكندرية، ط1/ 2014م.
- الاستقلال في الفكر اللساني (أطروحة دكتوراه): حكيم الموسوي/ كلية الآداب / جامعة بغداد/2021

- الأمثال العامية في العراق، جمعها: عباس العزاوي، رتبها: عامر رشيد السامرائي، مطبوعات بغداد عاصمة الثقافة العربية، ط2/ 2012م.
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان: أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصفلي (ت 501هـ)، قدم له: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية، ط1/ 1990م.
- الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية: د. محمد الديداوي، المركز الثقافي العربي/ الرباط، ط2002/1م
- تطور الدلالة المعجمية بين العامي والفصيح ، معجم دلالي: د. عبد الله الجبوري، الدار العربية للموسوعات/ 2009م
- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
- علم اللغة العام: فردينان دي سوسير ، ، ترجمة: د.يُوئِيلُ يوسف عزيز ، مراجعة: **د.** مالك المطلبي، آفاق عربية– بغداد– 1985م
- فن القص في النظرية والتطبيق، نبيلة إبراهيم، دار ومكتبة غريب للطباعة والنشر، القاهرة/ ط1/ 1995م.

- اللسانيات الحاسوبية وآفاق تطوير ترجمة المتلازمات اللفظية، بحث : عبد اللطيف الغزواني، مجلة اللسانيات التطبيقية: مج 4/ عدد 2/ 2020، جامعة عياض
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري(ت 711هـ)، دار صادر– بيروت/ ط3/ 1414هـ.
- معجم علم اللغة النظري: د.محمد علي الخولي – مكتبة لبنان ناشرون – 1991، بيروت.
- مقدمة في أسس المتلازمات اللغوية: ديفيد وود، ترجمة: د. عبد الله بن علي الأسمري، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، ط1 / 2019م

- المتلازمات اللفظية في المثل القرآني: نيان عثمان شريف، عالم الكتب الحديث، الأردن، عمان، ط1/2013م
- المصاحبة في التعبير اللغوي: محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي/ سوريا- دمشق، ط3/1990م

- موسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات/ بيروت- باريس، ط2/ 2001م
- معجم الأهوار: جبار عبد الله الجويبراوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد – العراق، ط1/
- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر- بيروت لبنان، ط1/ 1979م

- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماني، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف الرباط- المغرب، ط1/ 1980م
- المجاز وأثره في الدرس اللغوي: د. محمد بدري عبد الجليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر/ 1986م.
- المستقصى في أمثال العرب: محمود بن أحمد الزمخشري (538هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2/ 1987م.
- المتلازمات اللفظية في اللغة والقواميس العربية: عبد الرزاق بن عمر، مجمع الأطرش، تونس، 2007م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان/ ط1/ 1998م.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: د. جواد علي (ت1408هـ)، دار الساقي للطباعة، ط4، 2001م.